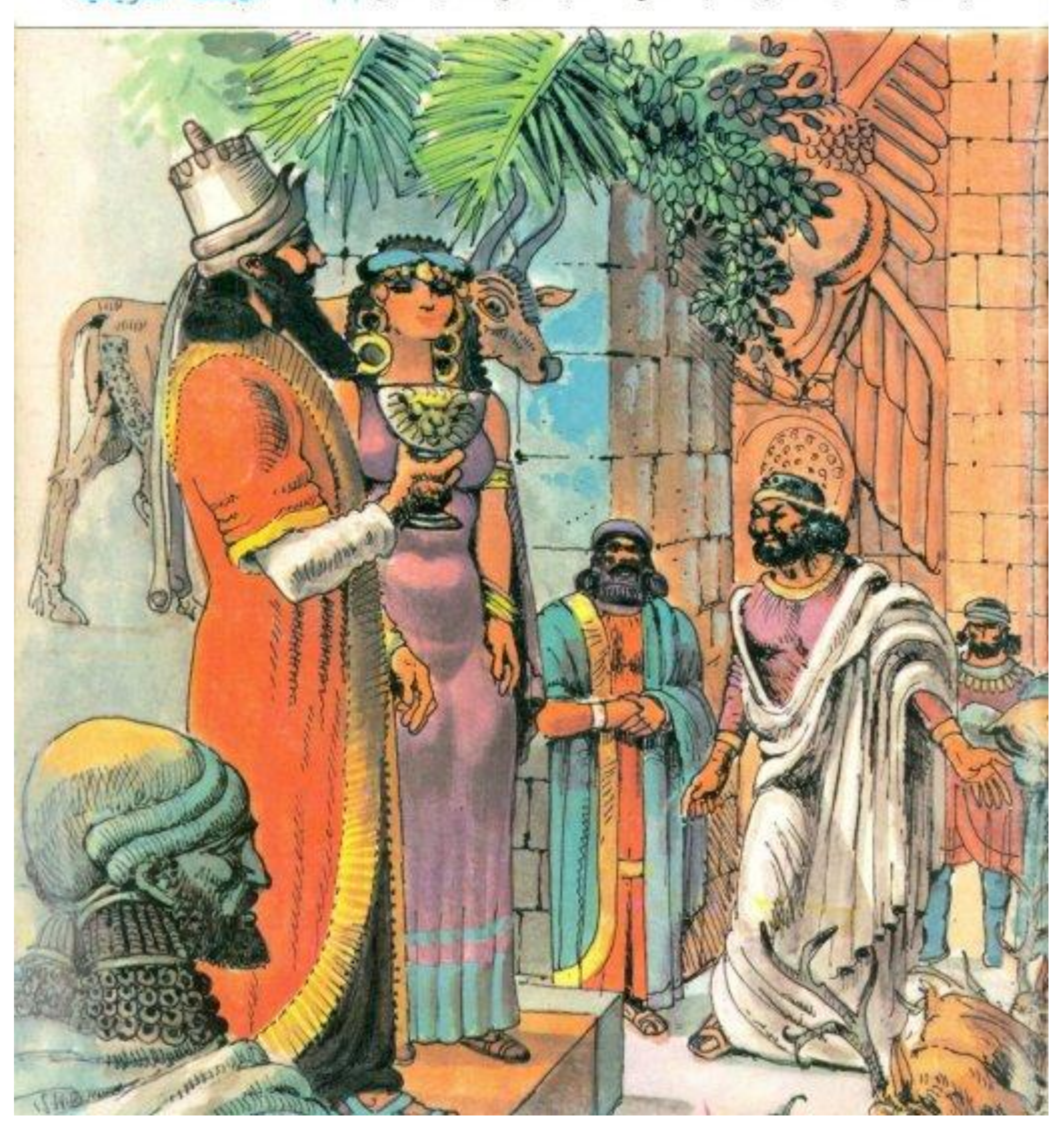
آشوربانيبال

مكتبة الطفل ... مكتبة الطفل ...مكتبة الطفل ... مكتبة الطفل ...مكتبة الطفل ٢٢

السلسلة التاريخية



آشور بانيبال



تأليف : جبار حسين
رسوم : طالب مكي



تولى الملكُ الشَهيرُ (آشور بانيبال) حكمَ الدولةِ الآشوريّة، مدةَ سبعةٍ وثلاثينَ عاماً (٦٦٨ ـ ٦٣١) قبلَ الميلاد. وعُرِفَ عهدُهُ بسلسلةٍ من الانتصارات على أعدائه.. وفي عامِ ٦٤٠ قبلَ الميلادِ حدثتْ هذهِ القِصّة.

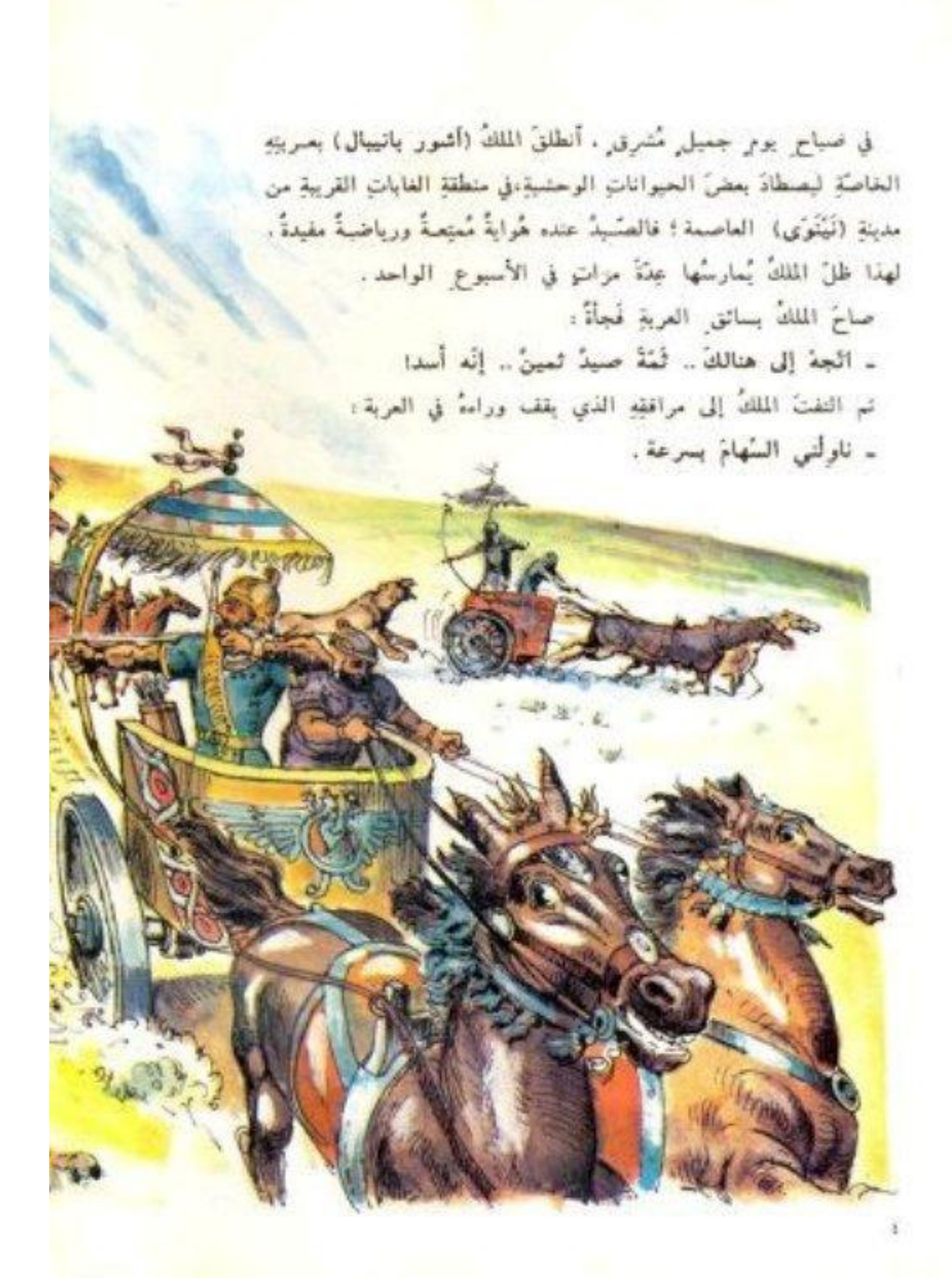
في صباحِ يومٍ جميلٍ مُشرقٍ ، انطلقَ الملكُ (آشور بانيبال) بعربتِهِ الخاصّةِ ليصطادَ بعضَ الحيواناتِ الوحشيةِ،في منطقةِ الغاباتِ القريبةِ من مدينةِ (نَيْنَوَى) العاصمة ؛ فالصّيدُ عنده هُوايةٌ مُمتعةٌ ورياضيةٌ مفيدةٌ ، لهذا ظلّ الملكُ يُمارسُها عِدّةَ مراتٍ في الأسبوعِ الواحد .

صاحَ الملكُ بسائقِ العربةِ فجأةً :

- اتّجهْ إلى هنالكَ .. ثمّةَ صيدٌ ثمينٌ .. إنّه أسدا

ثم التفتَ الملكُ إلى مرافقِهِ الذي يقف وراءهُ في العربة :

- ناولْني السّهامَ بسرعة .



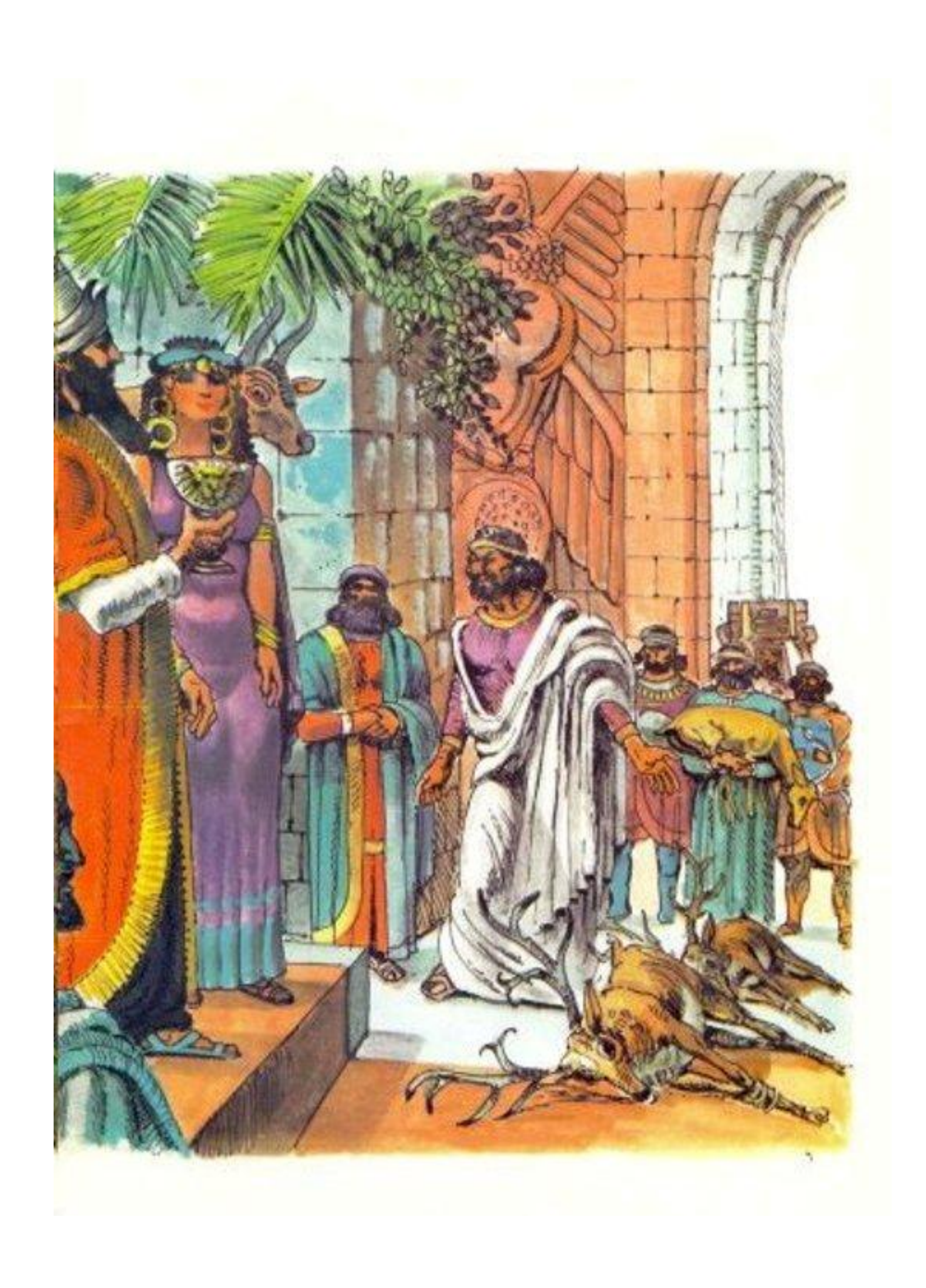
عندما ٱقتربتِ ٱلعربةُ أكثر، صوّبَ ٱلملكُ سِهامَهُ إلى الأسدِ، لكنّهُ لم يُفلحْ في إصابتِه أوّلَ ٱلأمر.. وهُنا أومأ الملكُ إلى أتباعِهِ الذينَ يركبون عَرَبةً أخرى كانت في أثرِهِ، أن يُحاوِلوا التّصدّيَ للأسدِ من ٱلجهةِ ٱلثانية.

ولمّا أدركَ الأسدُ حَراجةَ موقفِهِ، أبطأ قليلاً باحثاً عن ٱتجاهٍ سليمٍ، وٱستغلَّ الملكُ هذهِ ٱلفُرصةَ لِيُصَوّبَ سهماً إلى جسدِ ٱلأسد.. وتعالت صيْحاتُ أعوانِ ٱلملكِ إعجاباً بمهارتِهِ. لكنَّ الأسدَ الجريحَ انتصبَ مرةً أخرى، وهو يُزمجِرُ بصوتٍ هادرٍ، ووقفَ قُبالَةَ عربةِ الملكِ هائجاً.. فحبسَ الأعوانُ أنفاسَهم ترقُّباً لِما يحدثُ، وفي اللّحظةِ التي حاول فيها الأسدُ القفزَ على ٱلعربةِ، عاجَلَهُ ٱلملكُ بسهمٍ آخرَ فصرعَهُ على الأرضِ بلا حِراك.

تقدّمَ ركّابُ ٱلعربةِ الثّانيةِ وحملوا الأسدَ إلى عربتِهم، ثم ٱنطلقُوا خلفَ ٱلعربةِ ٱلملوكيّة.



وعندَ مُنتصَفِ النّهارِ، كانَ الملكُ قد ٱصطادَ قطيعاً من الغِزلانِ، فاعتزمَ أن يُقيمَ وليمةً في ٱلقصرِ الملوكيِّ هذا المَساءَ، ٱحتفالاً بصيدِهِ ٱلوفيرِ وحظِّهِ السّعيدِ هذا ٱليوم.



بدأ الضُّيوفُ يتوافدونَ على قاعةِ ٱلقصرِ الرئيسةِ، وكانَ في ٱستقبالِهم رئيسُ حُجّابِ ٱلقصرِ ومفتشُ ٱلقصرِ الملوكي. وكانَ آخِر الضُّيوفِ هو التورتون (أو القائدُ العامُّ للجيشِ ٱلآشوري). وبعد أن جلسَ الضُّيوفُ في أماكِنهم على مقاعدَ عاليةٍ وأمامهم موائدُ مُدوَّرةٌ من ٱلخيزرانِ، أعلنَ رئيسُ حُجّابَ ٱلقصرِ وصولَ ٱلملكِ إلى ٱلقاعةِ قائلاً بصوتٍ عالٍ:

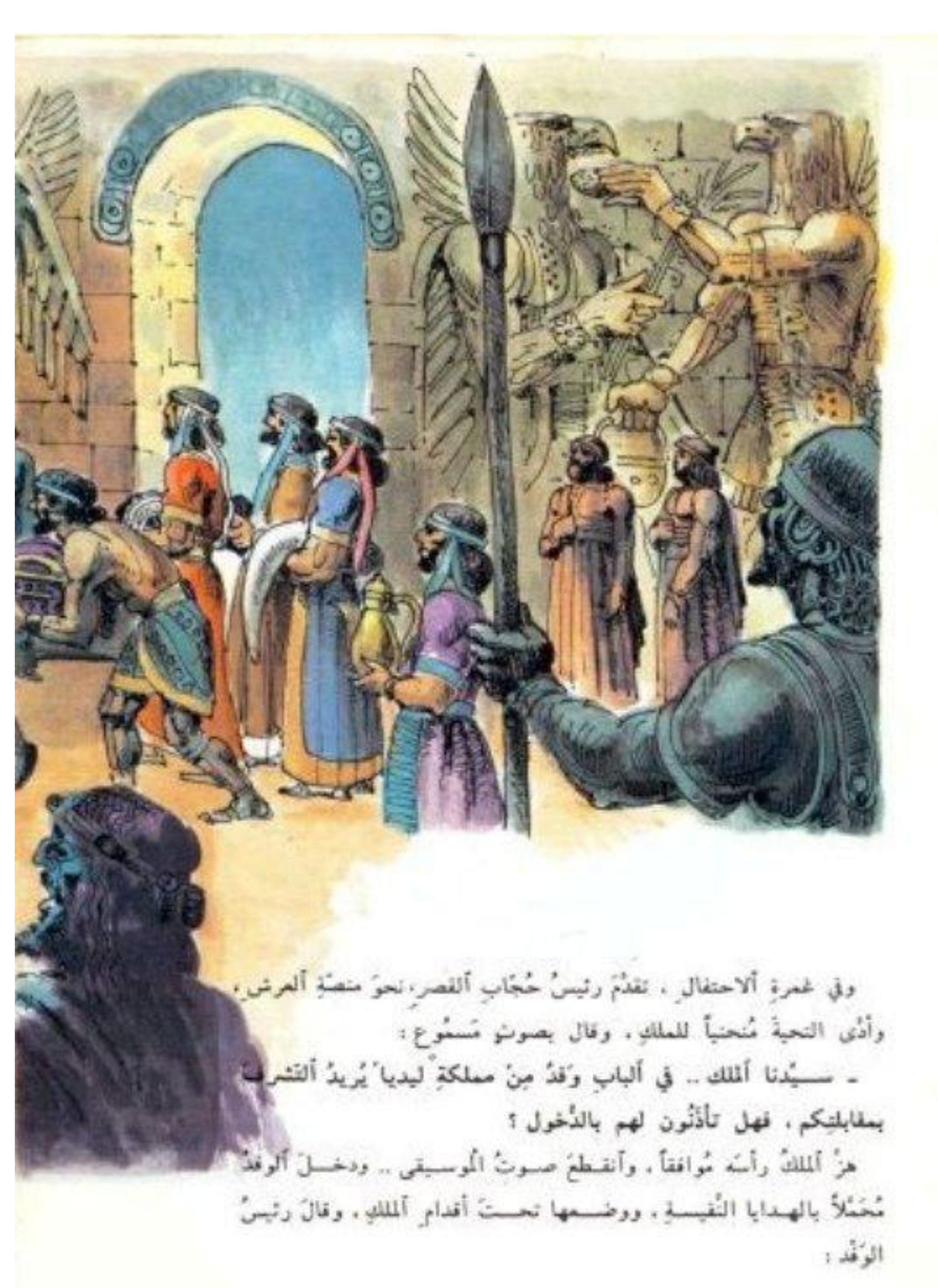
- الملكُ العظيم (آشور بانيبال) حامي (نينوى) وبلادِ آشورَ كلِّها.. لِيحرسْهُ الإلهُ (آشورُ) ويُحِطْ عنايتَهُ به.

وقفَ الحاضرونَ مُنحنينَ تحيةً للملكِ،ٱلذي صعدَ على منصّةِ ٱلعرشِ تتبعُهُ زوجتُهُ ٱلملكةُ (آشور شرات)،ووزيرُهُ الأكبرُ وعُصبةٌ مِنْ قُوّاتِهِ الخاصّةِ (الكرادو)،الذينَ عُرِفُوا بقُوّتِهم وشَجاعتِهم.

رفعَ ٱلملكُ يدَهُ بإشارةٍ خاصّةٍ، فدخَلَ جماعةٌ مِنَ ٱلخَدمِ،وهم يحملونَ الحَيَواناتِ التي ٱصطادَها الملكُ في النَّهارِ. فتناولَ (آشور بانيبال) قَدَحاً على هيأةِ رَأسِ أسدٍ،وراحَ يصُبُّ ماءَ دِجلةَ المُقدَّسَ على ذلك الصَّيدِ،ٱحتفالاً بصيدِهِ وتكفيراً عمّا سبّبَهُ لهُ من أذىً. ثم تقدّمَ خدمُ ٱلقصرِ،وأخرجوا الصّيدَ إلى خارجِ ٱلقاعة.

ثمَّ بدأ ٱلاحتفالُ، وراحَ المُوسيقيُّونَ يعزفونَ على آلاتِهم،وهي المعازف والقيثارات، وكذلك الضّاربونَ على الصُّنوجِ يُقابِلُ أحدُهُم الآخرَ، وهم يتقدّمونَ ويتراجعونَ بالتّناوُبِ..

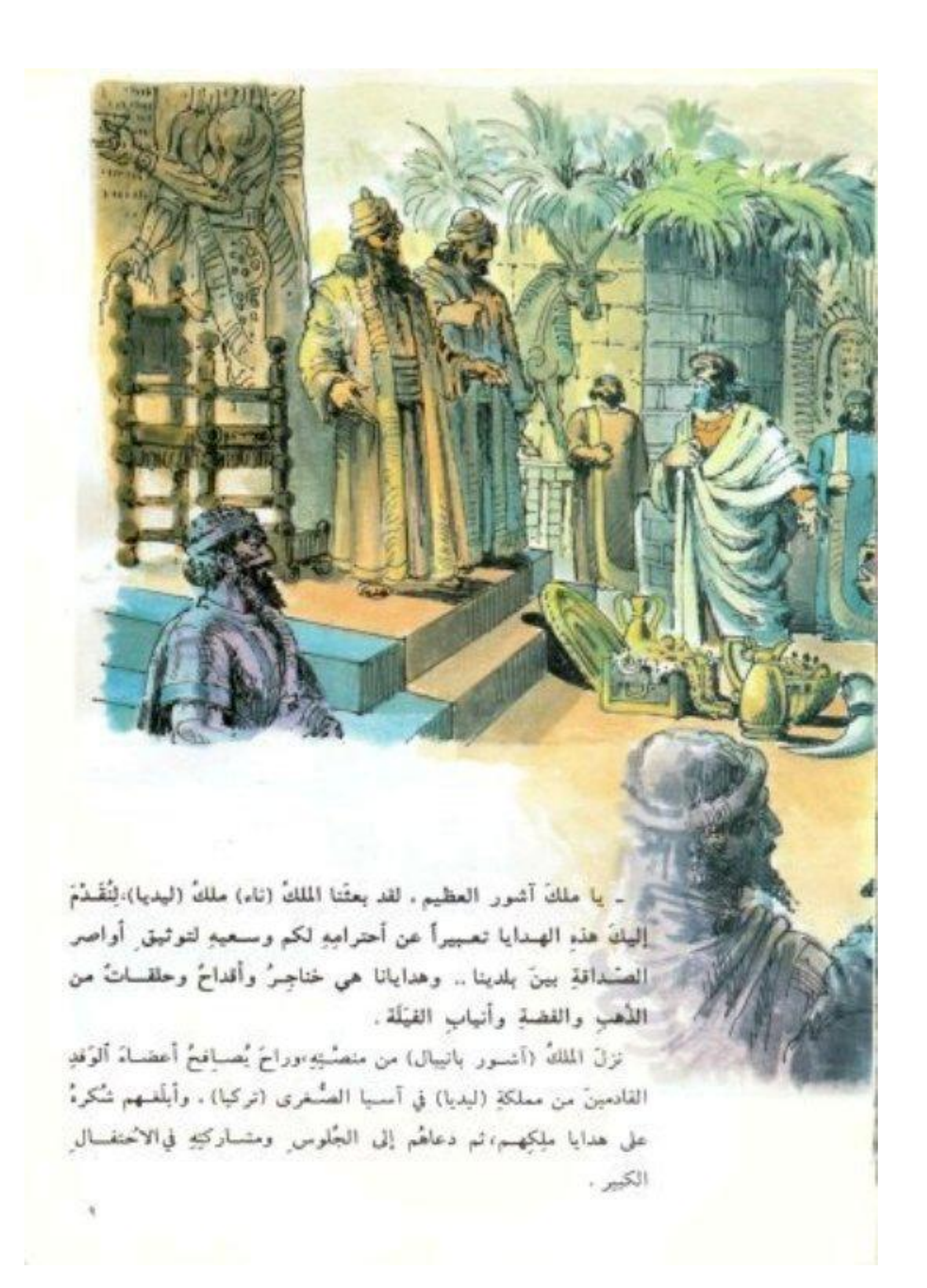
❋ ❋ ❋



وفي غمرةِ ألاحتفالِ ، تقدَّمَ رئيسُ حُجّابِ ألقصرِ نحوَ منصّةِ ألعرشِ ، وأدّى التحيةَ مُنحنياً للملكِ ، وقال بصوتٍ مَسمُوعٍ :

ـ سـيّدنا ألملك .. في ألبابِ وَفدٌ مِنْ مملكةِ "ليديا" يُريدُ ألتشرّفَ بمقابلتِكم ، فهل تأذَنون لهم بالدُّخول ؟

هزَّ ألملكُ رأسَه مُوافقاً ، وآنقطعَ صوتُ ألموسيقى .. ودخلَ ألوفدُ مُحَمّلاً بالهدايا النَّفيسةِ ، ووضعها تحتَ أقدامِ ألملكِ ، وقالَ رئيسُ الوَفْد :



ـ يا ملكَ آشور العظيم . لقد بعثَنا الملكُ (تاء) ملكُ (ليديا)، لِنُقَدِّمَ إليكَ هذهِ الهدايا تعبيراً عن احترامِهِ لكم وسعيِهِ لتوثيقِ أواصرِ الصَّداقةِ بينَ بلدينا .. وهدايانا هي خناجِرُ وأقداحُ وحلقاتٌ من الذَّهبِ والفضةِ وأنيابِ الفيَلَة .

نزلَ الملكُ (آشور بانيبال) من منصَّتِهِ وراحَ يُصافِحُ أعضاءَ الوَفدِ القادمينَ من مملكةِ (ليديا) في آسيا الصُّغرى (تركيا) . وأبلَغهم شُكرَهُ على هدايا مليكِهم، ثم دعاهُم إلى الجُلوسِ ومشاركتِهِ في الاحتفالِ الكبير .

دخلَ أحدُ الجنودِ القاعةَ في هذه الأثناءِ ، وهمسَ بكلماتٍ في أُذُنِ أحدِ الضُّبَّاطِ الواقفينَ على مقربَةٍ من الْبابِ الرئيس .. وأسرعَ الضّابطُ لينقُلَ ما سَمِعَهُ إلى الوزيرِ الأكبر .. فتقدَّمَ هذا نحوَ الْملكِ وأخبرهُ بما سَمِع .

إنتبه الحاضرون وأبصروا ملامحَ الْجِدِّ والاهتمام، التي بدتْ على وجهِ مليكهم .. وراحَ بعضُهم يسألُ بعضاً عن سرِّ تلكَ الكلماتِ، التي وصلتْ إلى مسامعِ الملكِ، وأثارتِ انتباهَهُ حتّى أنَّهُ لم يأمرِ الْموسيقيينَ بمتابعةِ عزفِهم . تُرى ماذا هُناك ؟ كان هذا السؤالُ ينتقلُ من مائدةٍ إلى أخرى ، وعيون المدعوِّينَ مركزةٌ في بابِ الْقاعةِ .. إنَّهم ينتظرونَ زائراً مُهِمّاً .. فمنْ يكون؟!

* * *

عمّتِ الْمُفاجَأةُ الحاضرينَ ، إذْ دخلَ القاعةَ فلّاحٌ رثُّ الثّيابِ ، عاري الصّدرِ ، وهو يلهثُ من شدّةِ التعب ، ولا بدَّ من أنَّهُ قطعَ مسافةً طويلةً ليصل الى هذه القاعة .

تقدَّمَ الْفلّاحُ بخُطُواتٍ مُتعَبَةٍ ، ووقفَ أمامَ الملكِ محيّياً ..

قالَ الملكُ (آشور بانيبال)، وهو يكتُمُ غضَباً شديداً :

ـ أخبِرنا أيُّها الرَّجلُ بما حَدثَ بالتَّفصيل ..

قال الرَّجلُ :

ـ مولانا الملك العظيم .. لقد أرسلني رعاياكَ سُكّانُ القُرى الآشوريّةِ الحُدوديّةِ ، لأنقُلَ لجلالتكم مرارةَ شكواهم وآلامِهم ، فقد تعرّضتْ قُرانا لهجماتِ جُنودِ العيلاميين (الفُرس)، واعتداءاتِهم المتكرِّرةِ علينا ، وما قاموا به من نهبٍ لبيوتِنا وسَرِقَةِ مواشينا ، ولم يكتفُوا بهذا ، وإنما قتلُوا جماعةً كبيرةً منا وأسَرُوا جماعةً أخرى .. ولم نجدْ من نصيرٍ سِواكَ يا مولاي المُعظّم ، لأنّكَ لا ترضى بأن يتعرّضَ واحدٌ من رعيّتكَ لمكروه ..



أطرق (آشور بانيبال) برأسهُ مفكّراً .. ثم قالَ بعدَ لحظة :

ـ خُذوا هذا المواطنَ إلى مكانٍ مناسبٍ لينالَ فيهِ الرّاحـةَ ويأكلَ الطعامَ .. وأحضِروه إليّ غداً .. فإنّ لحديثه بقيةٌ .. والآنَ واصِلُوا الاحتفال .

عاودَ المُوسيقيون عزفَهم ، وأخذَ المدعوون يُردّدونَ أغنياتِهم التي تتضمنُ عباراتِ الشُكرِ للآلهةِ كلِها ،وعلى رأسها الإله الأعظم (آشور) .. أمّا الملكُ فقد كان مشغولاً بأمرٍ مهمٍ جِداً ،لا يُريدُ الإفصاحَ عنه الآنَ وفي القصرِ أناسٌ غرباء ..

لم تغمضْ أجفانُ الفلاّحِ في تلكَ اللّيلةِ ..ظلّ مُستلقياً في فراشِهِ ، يستعيدُ مشاهداتِهِ التي بقيتْ محفورةً في ذاكرتِهِ بتفاصيلها جميعاً .. من كان يُصدّقُ أنّهُ يقفُ في حضرةِ الملكِ العظيم (آشور بانيبال) الذي ذاعَ صيتُهُ في الدُنيا ؟!

كانَ الملكُ جالساً على عرشِهِ، وقد وضعَ على رأسِهِ تاجاً مستدقاً، تدلّتْ من تحته ضفائرُ مجدولةٌ.. أمّا لحيتُهُ فكانت ممشّطةً بشكلٍ متدرجٍ جذابٍ.. وهو لا ينسى شكلَ الأقراطِ التي وضعها (آشور بانيبال) في أذنيهِ، أو القلادةَ الجميلةَ التي يلبسُها حول عُنقِهِ، ولمعانَ الأساورِ الذّهبِ التي تُحلّي معصَمَيه.

راحَ الفلاّحُ (تنورتا) يتذكرُ تلكَ الرسومَ والمنحوتاتِ الجداريّةَ التي تُصَوِّرُ بعضُها الرموزَ السّماويّةَ للآلهة، أو تلكَ التي تُصَوِّرُ حروبَ الملكِ وانتصاراتِهِ، حينما دخل محرراً مدينةَ (طيبة) عاصمةِ مصرَ العُليا قبلَ عشرينَ عاماً.. رأى ذلك على جُدرانِ قاعةِ العرشِ وعلى مُقدّمة المنصّة الملوكيّةِ التي غُطيت بفرشٍ ناعمة.

سأل الفلاّحُ نفسه:

- ماذا يُريدُ الملكُ منّي؟ أأخطأتُ في أختيارِ عباراتي، أم دخلتُ عليه في وقتٍ غيرِ مناسب؟

شعرَ الفلاّحُ (تنورتا) بالارتياحِ، فمهما يكنْ سببُ أستدعائِهِ، فقد يقابلُ مرةً ثانيةً ملكاً عظيماً وقائداً حكيماً ملأتِ العالَمَ أنباءُ انتصاراتِهِ وإصلاحاته..

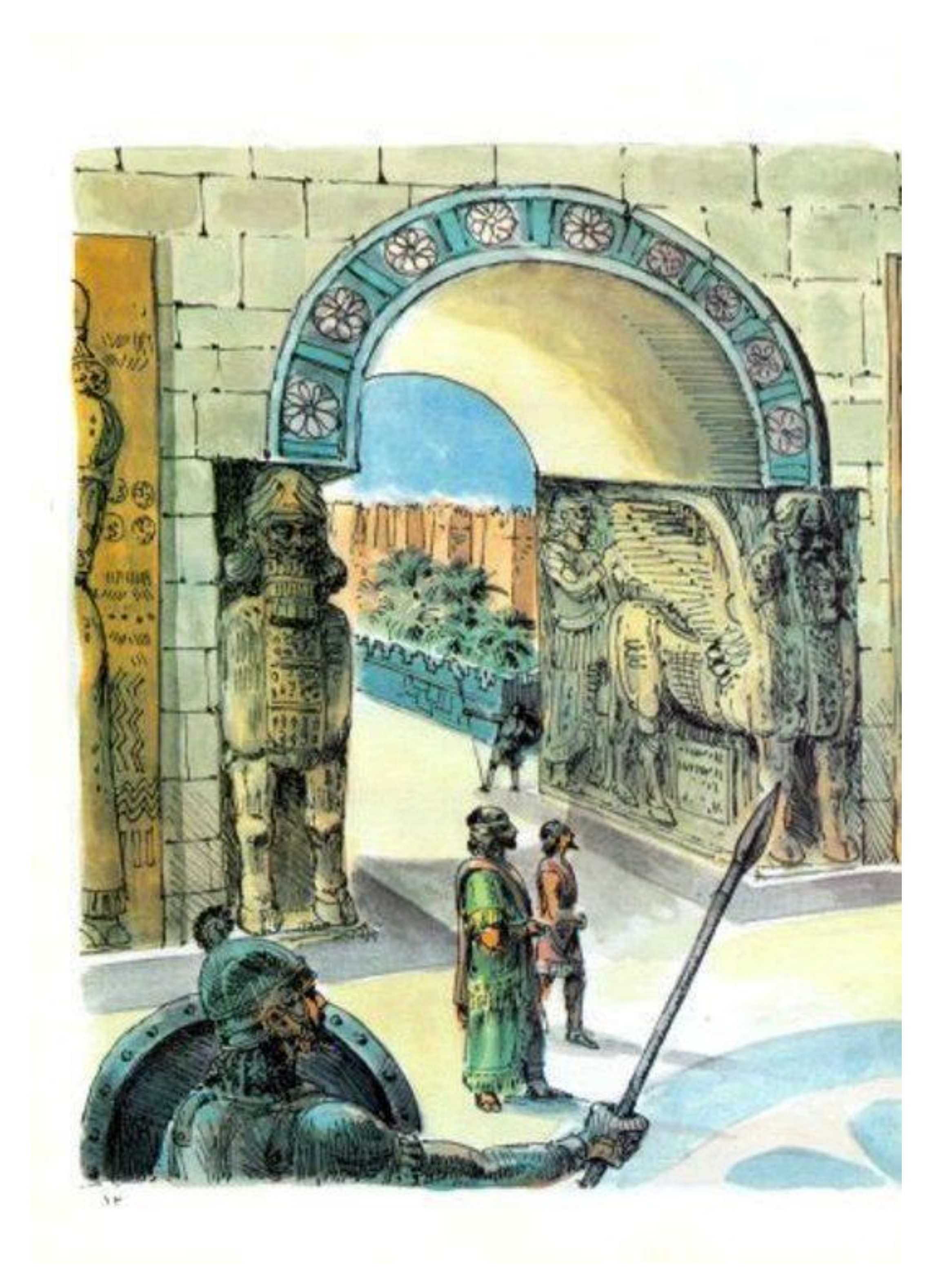
* * *

في صباحِ اليومِ التّالي، جاء أحدُ الضُبّاطِ ليقودَ (تنورتا) إلى حيث ينتظرُهُ الملِكُ.. وبعد أن اجتازَ الاثنانِ بوّاباتِ القصرِ، التي تحرسُها ثيرانٌ مُجنّحةٌ لها رؤوسٌ بشريّةٌ، لم يتوجّها إلى قاعةِ العرشِ، فاستغربَ الفلاّحُ، وألتفتَ إلى مُرافِقِهِ متسائلاً:

- أليست تلكَ قاعةُ ألعرشِ؟

أجاب الضّابطُ باقتضابٍ دونَ أن يلتفت إليه:

- نَعَمْ.. لكِنَّ الملكَ في مكانٍ آخر.



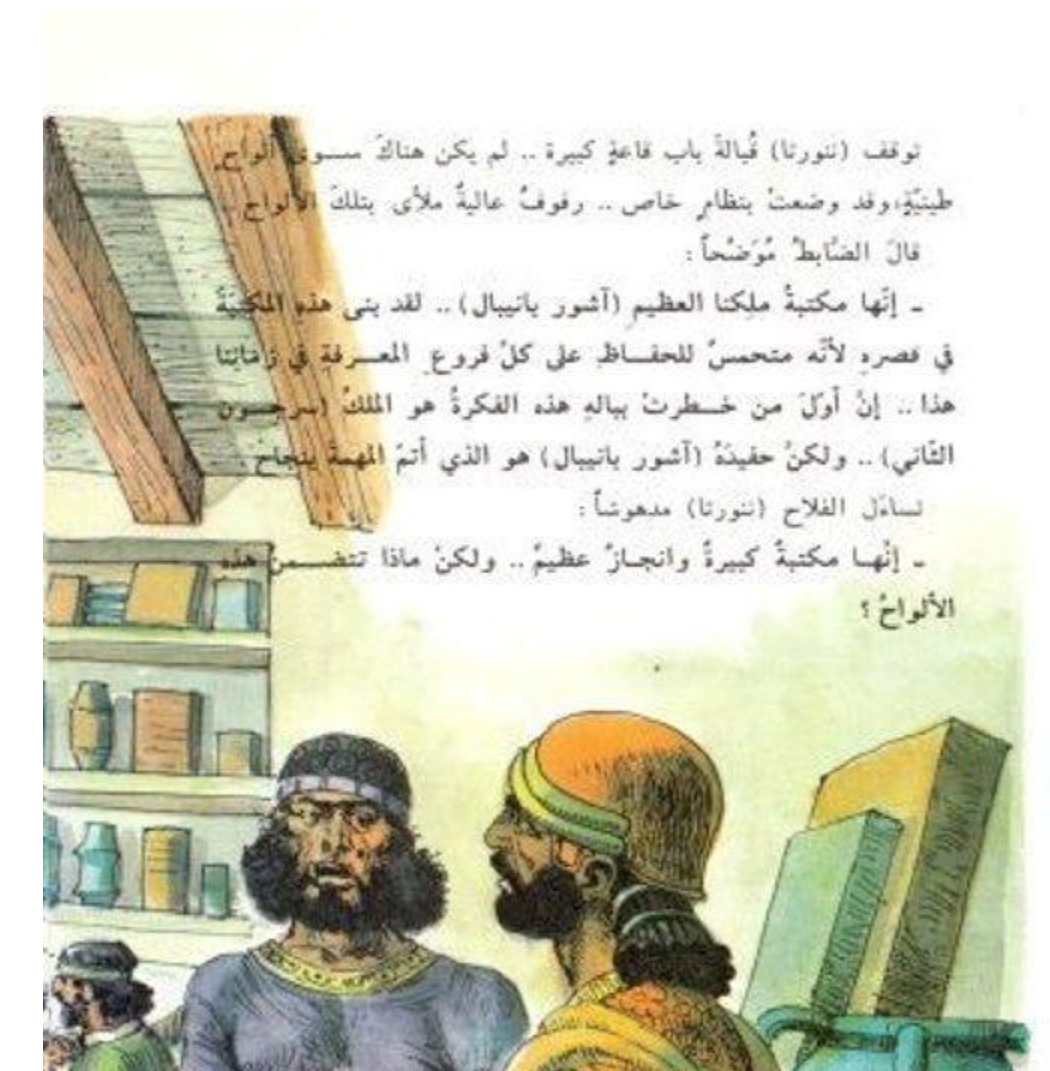
توقف (ننورتا) قُبالةَ باب قاعةٍ كبيرة .. لم يكن هناكَ سوى ألواحٍ طينيّةٍ، وقد وضعتْ بنظامٍ خاص .. رفوفٌ عاليةٌ ملأى بتلكَ الألواح .

قالَ الضّابطُ مُوَضّحاً :

ـ إنّها مكتبةُ مليكنا العظيم (آشور بانيبال) .. لقد بنى هذه المكتبةَ في قصرهِ لأنّه متحمسٌ للحفاظِ على كلِّ فروعِ المعرفةِ في زماننا هذا .. إنَّ أوّلَ من خطرتْ ببالهِ هذه الفكرةُ هو الملكُ (سرجون الثّاني) .. ولكنَّ حفيدَهُ (آشور بانيبال) هو الذي أتمَّ المهمةَ بنجاح .

تساءَل الفلاح (ننورتا) مدهوشاً :

ـ إنّها مكتبةٌ كبيرةٌ وانجازٌ عظيمٌ .. ولكنْ ماذا تتضمنُ هذه الألواحُ ؟



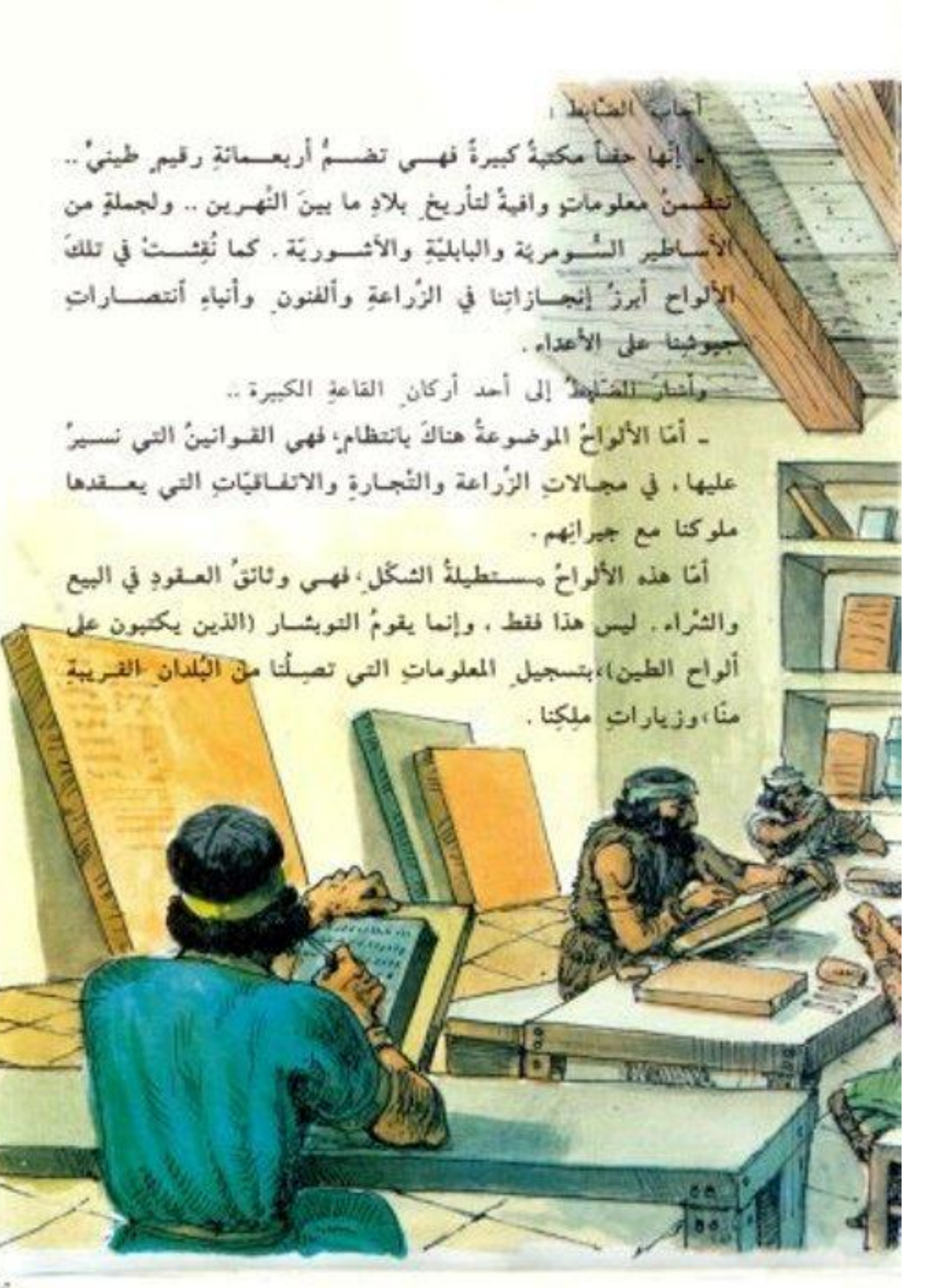
أجاب الضابط :

- إنها حقاً مكتبةٌ كبيرةٌ فهي تضمُّ أربعمائةِ رقيمٍ طينيٍّ .. تتضمنُ معلوماتٍ وافيةً لتأريخِ بلادِ ما بينَ النهرين .. ولجملةٍ من الأساطيرِ السومريةِ والبابليةِ والآشوريةِ . كما نُقِشَتْ في تلكَ الألواحِ أبرزُ إنجازاتِنا في الزراعةِ والفنونِ وأنباءِ انتصاراتِ جيوشِنا على الأعداء .

وأشارَ الضابطُ إلى أحد أركانِ القاعةِ الكبيرة ..

- أمّا الألواحُ الموضوعةُ هناكَ بانتظامٍ، فهي القوانينُ التي نسيرُ عليها ، في مجالاتِ الزراعة والتجارةِ والاتفاقيّاتِ التي يعقدها ملوكنا مع جيرانِهم .

أمّا هذه الألواحُ مستطيلةُ الشكلِ، فهي وثائقُ العقودِ في البيع والشراء . ليس هذا فقط ، وإنما يقومُ التوبشار (الذين يكتبون على ألواح الطين)، بتسجيلِ المعلوماتِ التي تصِلُنا من البلدانِ القريبةِ منّا، وزياراتِ ملكِنا .



والتفتَ الضّابطُ إلى (ننورتا) قائلاً :

- ليس (آشور بانيبال) قائداً فذّاً حَسْب، بل هو صاحبُ إنجازاتٍ حضاريّةٍ كبيرةٍ أيضاً .. وهو واحدٌ من القلائل الذين يُجيدونَ معرفةَ الخطِّ المسماريّ وقراءةَ الألواحِ السُّومرية !

قال الفلّاحُ لمرافقه قبل أن يغادرا المكتبة :

- إذن ، يستطيعُ المرءُ هُنا أن يجد كلَّ ما يَودُّ معرفتَه !

فأجابَ الضّابطُ مبتسماً :

- وربّما دخل اسمُكَ في ألواحِ ورُقَيْماتِ المكتبةِ العظيمة ..



ثم دخلَ الاثنانِ قاعةَ المعبدِ ، وهي قاعةٌ مستطيلةُ الشكلِ .. يقفُ في نهايتِها تمثالُ الإلهِ (آشور) على قاعدةٍ مربعةٍ .. كانَ الملكُ يقفُ هناك وقد خلعَ تاجَهُ وأمسكَ بالنبتةِ المقدَّسةِ التي ترمزُ إلى الطَّاعةِ ، في حين ارتفعت يدُ الملكِ الثانيةُ بالوَلاء ..

سَمِعَ الفلاَّحُ (ننورتا) صوتَ الملكِ وهو يُرَدِّدُ بخشوع :

- أيها الإلهُ العظيم .. يامن تمنحُ مدينتي الحياةَ والخِصبَ .. لقد جئتُك اليومَ لتباركَ ما سأقومُ بهِ من أعمال . إنّني على يقينٍ من أن بقيةَ الآلهةِ راضيةٌ عن نواياي .. فقد زرتُهم في معابِدِهم وقدمتُ لهم النذورَ .. لقد وقفت طويلاً قُبالةَ سَنَ (الإله قمر) وشمش (الإله شمس) .. ونبو (إله الكتابة والكتبة) وأيا (إله الماء) ونسكو (إله النّار) وتضرّعت بين يدي أدد (إله العواصف) وننورتا (إله الحرب) .. وحصلت على بركاتِ الآلهةِ (عشتار أربيل) التي لها مكانةٌ خاصة في نفسي ..

لقد تجاوزَ الأعداءُ على أرضِنا ، وقتلُوا جماعةً منّا ، ولا بدّ أن ينالَهم العِقابُ .. فأمنحني بركاتِكَ أيُّها الإلهُ (آشور) ..

وبعد أن أنهى الملك تعبده ، أسرعَ الخدمُ إليهِ حاملينَ تاجَهُ وعصاهُ الطويلةَ التي هي عنوانُ منزلِته الرفيعةِ ، وهراوةَ الحربِ التي يحملُها بيدِهِ اليُسرى .

ثم غادرَ الملكُ المعبدَ مُسرِعاً ومن ورائِهِ مرافقوه . فقال الضّابطُ بصوت خفيض :

- هيّا بنا نتبع الملك ..

* * *

حين دخلَ الفلّاح قاعةَ العرشِ ، عاودهُ الّبهرُ بما يراهُ .. فها هُو الملكُ يجلسُ في مكانِهِ ومِنْ حولِهِ زوجتُهُ وكبارُ مُوظّفيهِ وقادةُ جيشه .

قال لهُ ألملك:

ـ أيُّها المواطِنُ العزيزُ .. هل سبقَ لك أن زُرتَ (سوسة) عاصمةَ العيلاميينَ ؟ (سوسة : الشوش) .

فأجابَ الفلّاحُ بِثقةٍ :

ـ نَعَـمْ يا مولاي .. فذات مرة هاجمتنا مجموعةٌ من جنودِهم واقتادوني أسيراً إلى بلادهم .. لكنّي أستطعتُ الفرارَ من قبضتهم وعُدتُ إلى قريتي .. فعاصمتُهم لا تبعُدُ كثيراً عن حدودِنا الشّرقية ..

ـ إذنْ ارسلُ معك نُخبةً من جنودنا لغرضِ جمع المعلومات ألضّرورية .. وتكونُ مهمتكُم سريةً للغاية ، مفهوم !

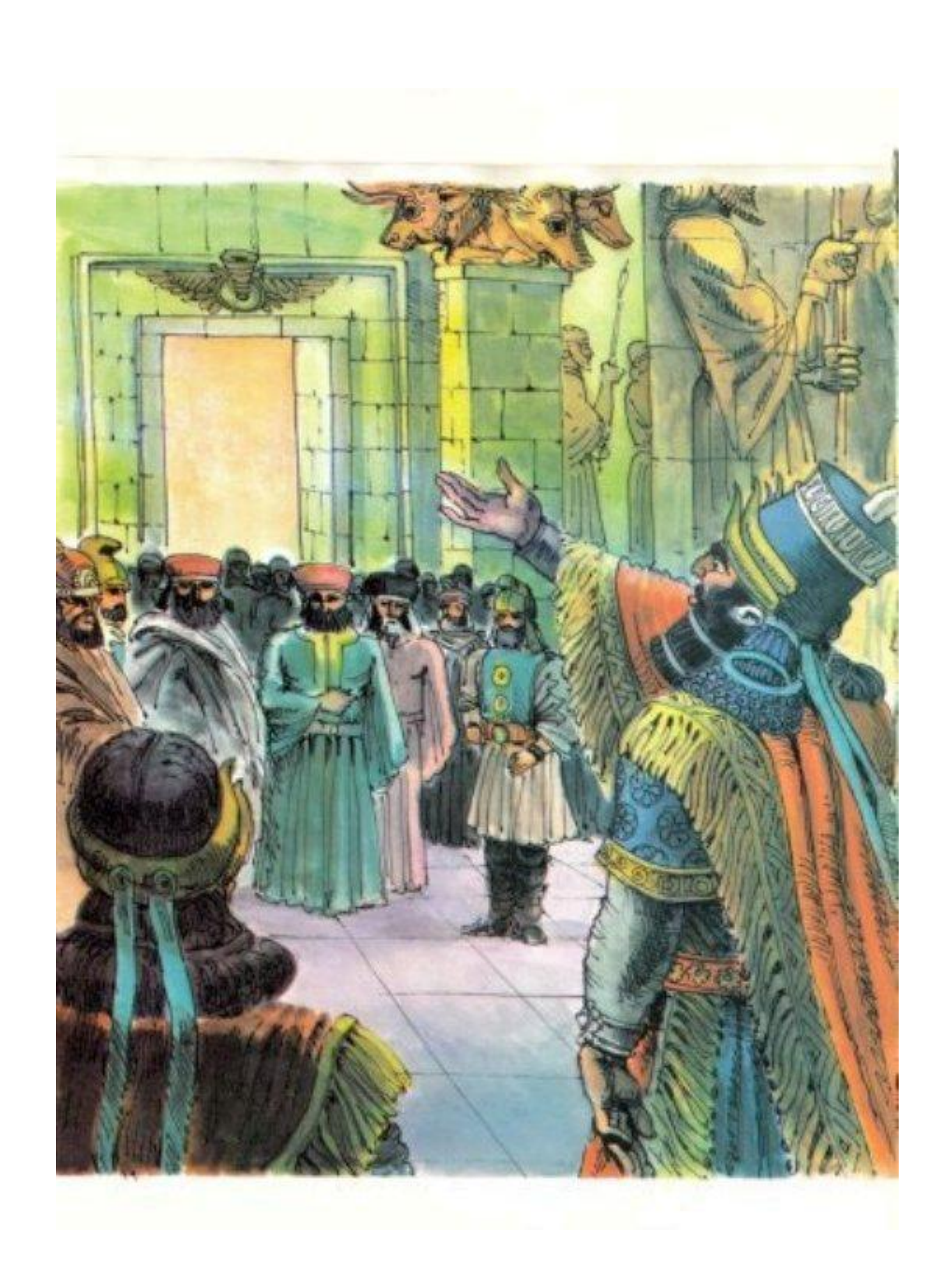
إنحنى ألفلاحُ (ننورتا) قائلاً :

ـ إنّهُ لشرفٌ عظيمٌ يامولاي ..

وقفَ الملكُ (آشور بانيبال) وراحَ ينقرُ المنصة بعصاهُ الطويلة نقراتٍ قصيرةً متلاحقةً ، ونظراتُهُ تطوفُ حول وجوهِ الموجودينَ .. ثم قالَ بصوتٍ رصينٍ :

ـ لن تنطفيءَ أبداً الشعلةُ في هذهِ الأرض .. الشُّعلةُ التي أنارتْ بلادَ الرافدين ، ولن تُدنّسَ مياهُ دجلةَ الخالد .. ولن تتعذّبَ روحُ الملكِ (شمش أدد الأول)،مُؤسسِ دولةِ آشور .. ولن يلحق العارُ آبائي العِظامَ (آشور ناصر بال)،و (سُلمناصر) و (آشور بيل كالا) و (سرجون) و (سنحاريب) و (أسرحدون) .. لقد بنى أبناءُ الرّافدين مجداً،ويجبُ علينا الآن أن نصُونَهُ ونكملَهُ .. ولتنتقِم ألآلهةُ منّا إن سكتنا على ضيمٍ ، أو رضينا بأضطهاد .

أيُّها الضُّباطُ الشُّجعانُ .. أعدّوا العُدّةَ للزّحفِ على (عيلام)، أكمِلوا النّواقِصَ وهَيِّئوا المؤَنَ للجيشِ ألمظفّرِ .. ولكنْ عليكم بالحذرِ .. فنحنُ لا نُريدُ أن يعرفَ عدوّنا بخططنا قبلَ الأوانِ .. ولتحلُّ عليكم بركاتُ الآلهة .



بعدَ أسابيعَ قليلةٍ، وصلتِ التقاريرُ إلى الملكِ وهي تحملُ أنباءً سارّةً .. فقد نجحَ الفلّاحُ ومنْ معهُ في مُهمّتِهم، وآستطاعوا جمعَ معلوماتٍ مستفيضةً لقوّاتِ ٱلعدوْ وأماكنِ تحشُّداتِه .. ليس هذا فقط، وإنما آستطاعُوا تعبئةَ سُكّانِ القُرى أيضاً لينضمُّوا إلى الجيش الآشوري عندَ مرورِه بهم.

أصدر (آشور بانيبال) أمراً بتعيينِ الفلّاح (تنورتا) ضابطاً في ٱلجيشِ تثميناً لعملِهِ النّاجح.

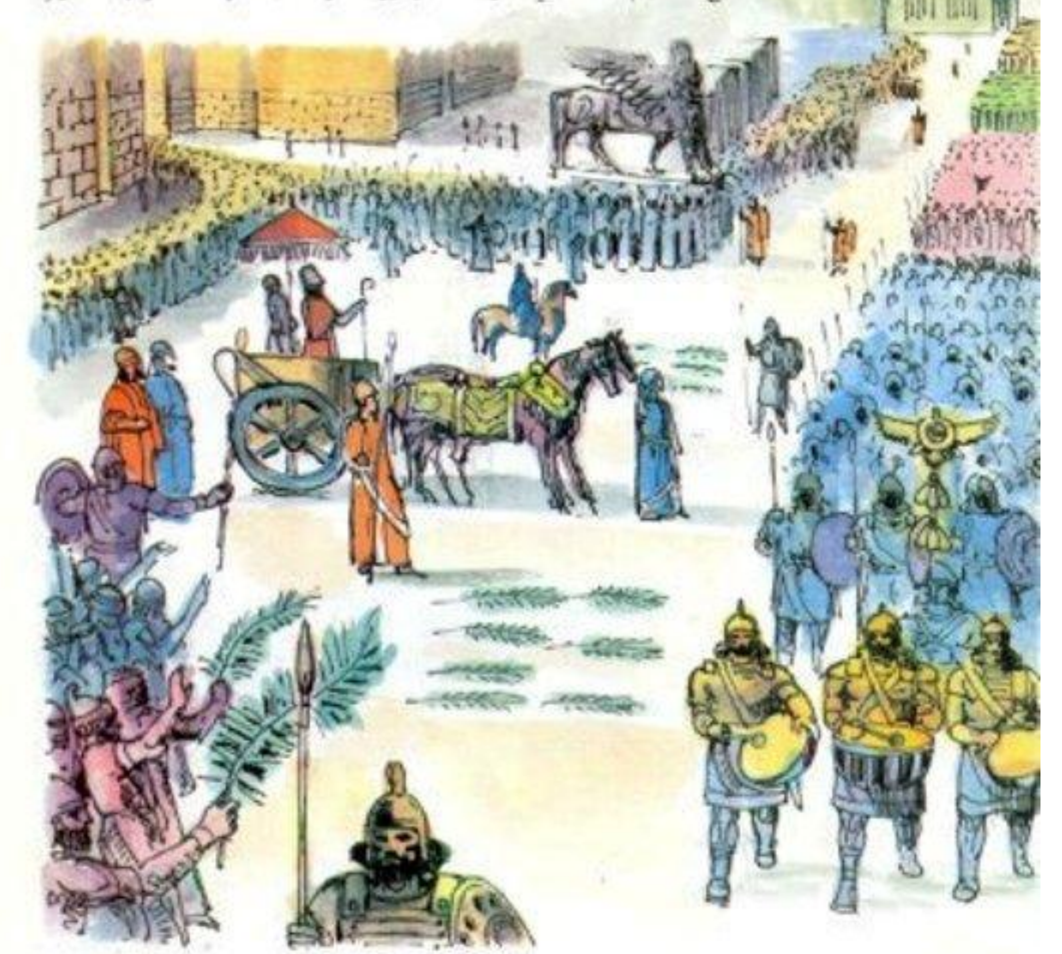
لم يبقَ الآن سوى الزّحفِ على العدوْ وتلقينه درساً لا ينساه ..



يوم الزّحفِ كان يوماً عظيماً في تأريخِ مدينةِ (نينوى) .. ففي ذلك اليوم آستيقظَ أهلُ المدينةِ مبكرينَ ليكونُوا في توديعِ ملكهم (آشور بانيبال) وجيشِهِ ، الذّاهبينَ للدفاعِ عن أرض بلادِهم وتأديب أعدائهم .

وقفَ النّاسُ على جانبي شارعِ ألمدينةِ الكبير .. بينما صَعدَ آخرونَ على شُرُفاتِ ألمنازِل و (زقُّوراتِ) ألمعابد ...

سَمعَ الجميعُ صوتَ قرعِ ألطُّبولِ إيذاناً ببدءِ مسيرةِ الجيشِ ، ورأى ألجميعُ ملكهم واقفاً في عربته الملوكيّةِ ذاتِ العجلاتِ المغلّفةِ بالحديدِ .





ورأوا خيولَها الأربعةَ المُزينةَ بالشرائبِ والأجراسِ. كانَ الملكُ يلوّحُ لهم بيدهِ ووجههُ يشعُّ بابتسامةِ التفاؤلِ، بينما وقفَ إلى جوارِهِ مرافقهُ وأثنانِ من حرسِهِ الخاصِّ يحملانِ تروساً مُدوّرةً لحمايةِ الملكِ ومرافقِهِ وسائقِهِ، وتحيطُ بالعربةِ مجموعةٌ من أفرادِ قوّاتِ (الكردو) الأقوياء..

تعالت صيحاتُ الجماهيرِ وهتافاتُها لملكِهم وقائدِهم البطل. ثم توالتْ قوّاتُ الجيشِ، تتقدّمُهم قوّاتُ الخيّالةِ الضاريةِ التي تُكلّفُ عادةً بمُهمّاتٍ خاصةٍ، وهي التغلغُل بينَ صفوفِ العدوِّ والأنقضاضُ على مُخيّماتِهِ وإدخالُ الرُّعبِ بينَ أفرادِه. يمتازُ أفرادُ (الكردو) بخِفّةِ الحركةِ في الهجومِ والانسحاب.

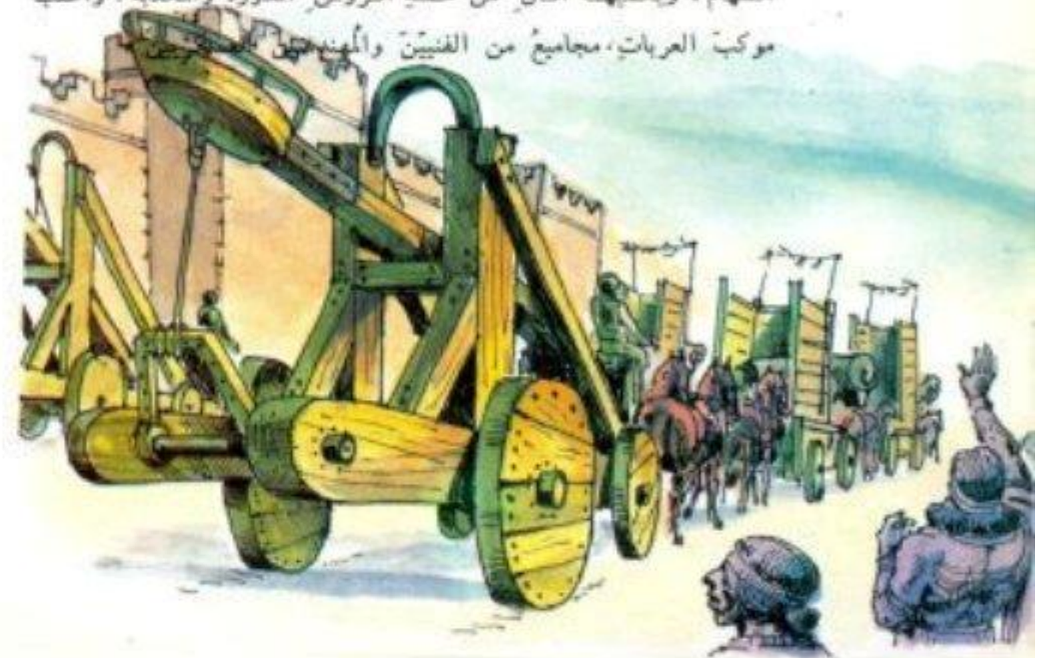
أمّا أسلحتُهم، فهي الرّماحُ أو الحِرابُ والقوسُ، وهم يمتطون الخيلَ بغيرِ سُروجٍ. غيرَ أنّهم وضعُوا قِطَعاً صغيرةً من القماشِ على ظهورِ الخيلِ للجلوسِ عليها.

وكانَ الخيّالةُ يلبسونَ الدّروعَ المصنوعةَ من الكتّانِ والجلودِ والقِطعِ المعدنيةِ، ليسمحَ للجنديِّ بحريّةِ الحركة.

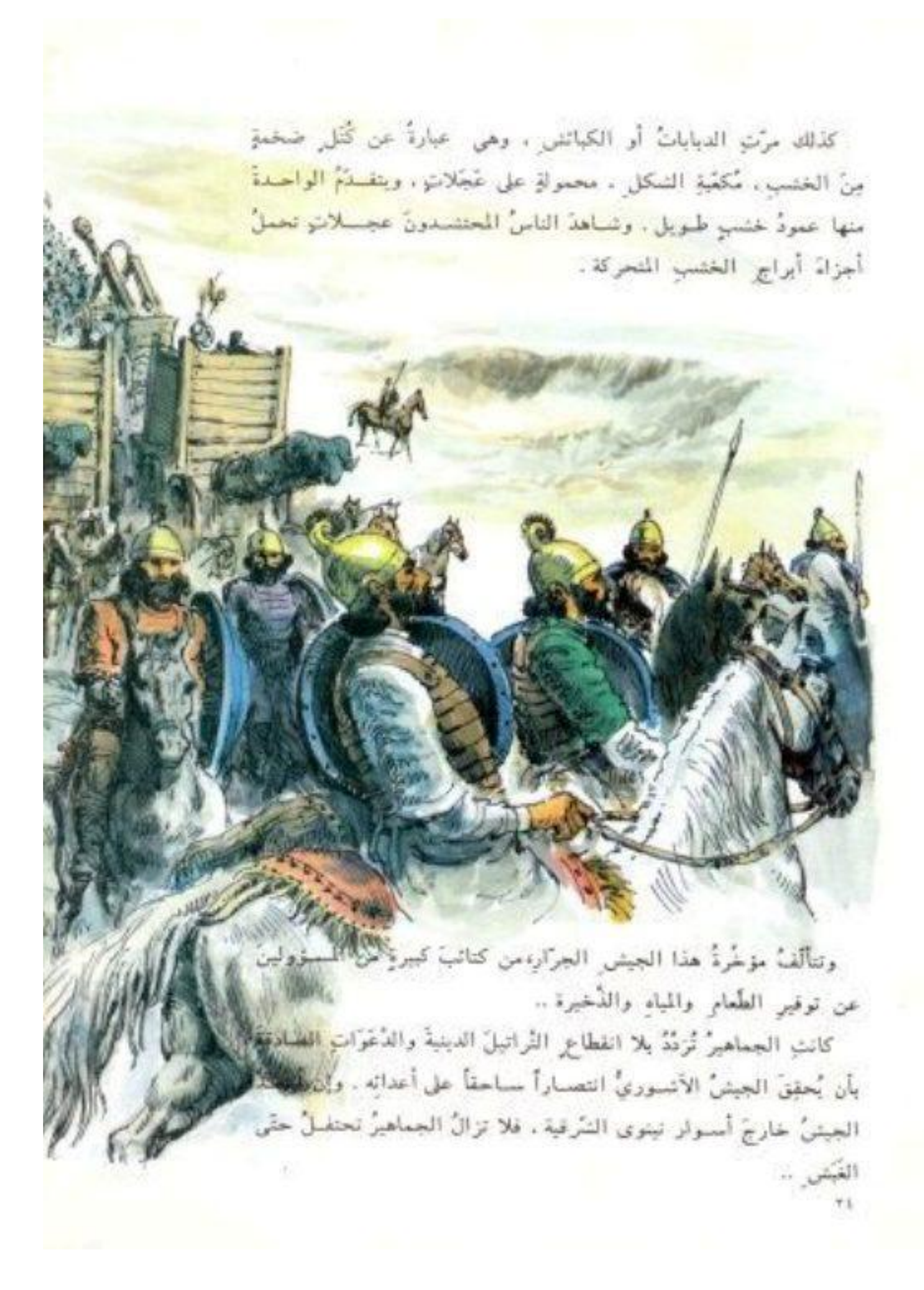
بعد ذلك مرّت قواتُ المشاةِ المجهزةُ بالرّماحِ والسّهامِ والمقاليعِ، إضافةً إلى ما يحمِلُهُ المقاتلون عادةً من سُيوفٍ قصيرةٍ أو قُوُوسٍ، أو خناجرَ صغيرةٍ مثبتةٍ في أحزمتهم. ويحمي المشاةُ أنفسهم بتُروسٍ مُستطيلةٍ كبيرةِ الحجمِ، قد يزيدُ طولُها على طولِ المحاربِ نفسِهِ؛ وتكونُ التروسُ مُنحنيةً من الأعلى بأتّجاهِ رأسِ المقاتلِ لتحميَهُ من سِهامِ الأعداءِ. ويُصنعُ التُّرسُ من حُزَمٍ من القَصَبِ مشدودةٍ إلى بعضِها بحبالٍ قويّةٍ. ويضعُ المشاةُ على رؤوسِهم خُوذاً مخروطيةَ الشكلِ ذاتَ أعرافٍ أو ريشٍ.. ويلبسون أحذيةً عاليةً مزررةً، تقي أقدامَهم من وعورةِ الأرضِ وتمنعُ عنها الكدماتِ.



ثم تعالى صريرُ عجلاتِ العَرباتِ الحربيّةِ، التي تحملُ الواحدةُ منها ثلاثةَ رجالٍ أو أربعةً، ففي المقدّمةِ يقفُ السائقُ، ومن خلفِهِ يقفُ رامي السّهامِ، ويحميهما أثنانِ من حَمَلةِ التروسِ المدوّرةِ والمُحدّبةِ. وأعقبَ موكبَ العرباتِ، مجاميعُ من الفنيّينَ والمهند



كذلك مرّتِ الدباباتُ أو الكبائشِ ، وهي عبارةٌ عن كُتلٍ ضخمةٍ مِنَ الخشبِ ، مُكعّبةِ الشكلِ ، محمولةٍ على عَجَلاتٍ ، ويتقدّمُ الواحدةَ منها عمودُ خشبٍ طويل . وشاهدَ الناسُ المحتشدونَ عجلاتٍ تحملُ أجزاءَ أبراجِ الخشبِ المتحركة .



وتتألّفُ مؤخّرةُ هذا الجيشِ الجرّارِ من كتائبَ كبيرةٍ من المسؤولينَ عن توفيرِ الطّعامِ والمياهِ والذّخيرة ..

كانتِ الجماهيرُ تُردّدُ بلا انقطاعٍ التّراتيلَ الدينيةَ والدّعَواتِ الصادقةَ بأن يُحقِقَ الجيشُ الآشوريُّ انتصاراً ساحقاً على أعدائِه . و[illegible] الجيشُ خارجَ أسوارِ نينوى الشّرقية ، فلا تزالُ الجماهيرُ تحتفلُ حتّى الغَبَشِ ..

لم يُواجِهِ الجيشُ الآشوريُّ صعوبةً في عُبورِ نهرِ الزّابِ الكبيرِ، فقد عَمِلَ الفنيّونَ بهمةٍ ونشاطٍ على نصبِ الجسورِ وتفكيكِها .. وحدثَ هذا في أثناءِ عُبورِ نهرِ الزّابِ الصغيرِ أيضاً.

ولمّا قطعَ الجيشُ مسافةً طويلةً عبرَ أرضاً جبليةً وعرةً، تأهّبَ الجميعُ لمواجهةِ أعدائهم العيلاميين.

كانت قُوّاتُ العدوّ تتراجعُ بسرعةٍ كبيرةٍ،من أجلِ أن تصلَ إلى مدينةِ (سوسة) وتحتمي بأسوارِها. أمّا قُواتُ الآشوريين فظلّت تتقدمُ حتى وصلتْ أسوارَ المدينةِ،وفرضت حولَها الحصار.

❋ ❋ ❋

عقد الملك آشور بانيبال اجتماعاً مع قادة جيشه، في خيمته التي تتوسط المعسكر، وكانَ منْ بين الضُّباطِ الضابطُ (تنورتا).

قال الملكُ بعد تفكيرٍ عميق:

ـ لا بدَّ من سُقوطِ المدينةِ، وهذا يتطلّبُ أولاً اختراقَ أسوارِها الحصينة..

فقالَ أحدُ الضُّباط:

ـ مولاي الملك.. لماذا لا تتولى قُوّاتُ الهندسةِ العسكريةِ هذه العملية؟

أجابَ الملكُ:

ـ لقدِ اقترحُوا عليّ ذلك.. لكنّني رفضتُ، لأنّهم يعرضونَ أنفسهم لسِهامِ الأعداء وزيتِهم المغلي،الذي يُلقونَ به من فوقِ الأسوار.. إنّنا نريد أن نحقِّقَ الانتصارَ بأقلِ عددٍ ممكنٍ من الخسائر.

فقالَ الضّابطُ (تنورتا):

ـ أقترحُ يا مولاي أن نردمَ جزءً من الخندقِ المحيطِ بالأسوارِ والمليء بالمياهِ، ليكونَ لجنودِنا قُدرةٌ أقوى على الحركة.

أطرقَ الملكُ برأسِهِ قليلاً ثم قال :

ـ سيكون هجومنا غداً هجوماً شاملاً ، فتهاجمُهم وحداتٌ من فوقِ الأبراجِ المتحركةِ ، وتشاغِلُهم قُوّاتٌ أخرىٰ بالسّهام والمقاليع ، بينما تتولى وحداتُ الدّبابات ضربَ بوّاباتِ المدينةِ وأسوارِها ، وتتفرغُ الوحداتُ الفنيّةُ لإحداث الثّغراتِ وردمِ الخندق .

* * *

أسفرَ الهجومُ عن فتحِ عِدّةِ ثَغَراتٍ في أسوارِ المدينةِ ، واندفع الجنودُ الآشوريونَ يطاردون قُوّاتِ العدو .. ولم تمضِ سوى ساعاتٍ قلائلَ حتى أعلنتِ المدينةُ استسلامَها .

ودخلَ (آشور بانيبال) المدينةَ مُنتَصِراً ، وتوجه بموكبِهِ إلى القصرِ الملوكيِّ في عاصمةِ العيلاميين (سوسةَ) .. وكان ينتظرُ آخر الأنباءِ عن مصيرِ الملكِ (يتومان) ، ملكِ (عيلام) ونَفَرٍ من قادتِهِ .

وبعد لحظات دخلَ عليه الضّابطُ (تنورتا) مؤدّياً التحية :

ـ مولاي الملكُ المنتصر .. لقد عثرنا على الملك المتغطرس (يتومان) .. وجدناه مقتولاً ، أمّا قادتُه ، فهم الآن أسرى بأيدي قُوّاتِنا ..

فقال (آشور بانيبال) بصوتٍ خفيض :

ـ لقد سوّلتْ له نفسُهُ العدوان على جيرانِهِ الآمنين ، فنال جزاءَ عُدوانِهِ وغروره .

* * *

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى وقفَ ضابطٌ آخر يؤدي التّحيةَ للملكِ الفاتحِ ، فسألهُ الملك :

ـ هل مِن أنباءٍ أخرى ؟

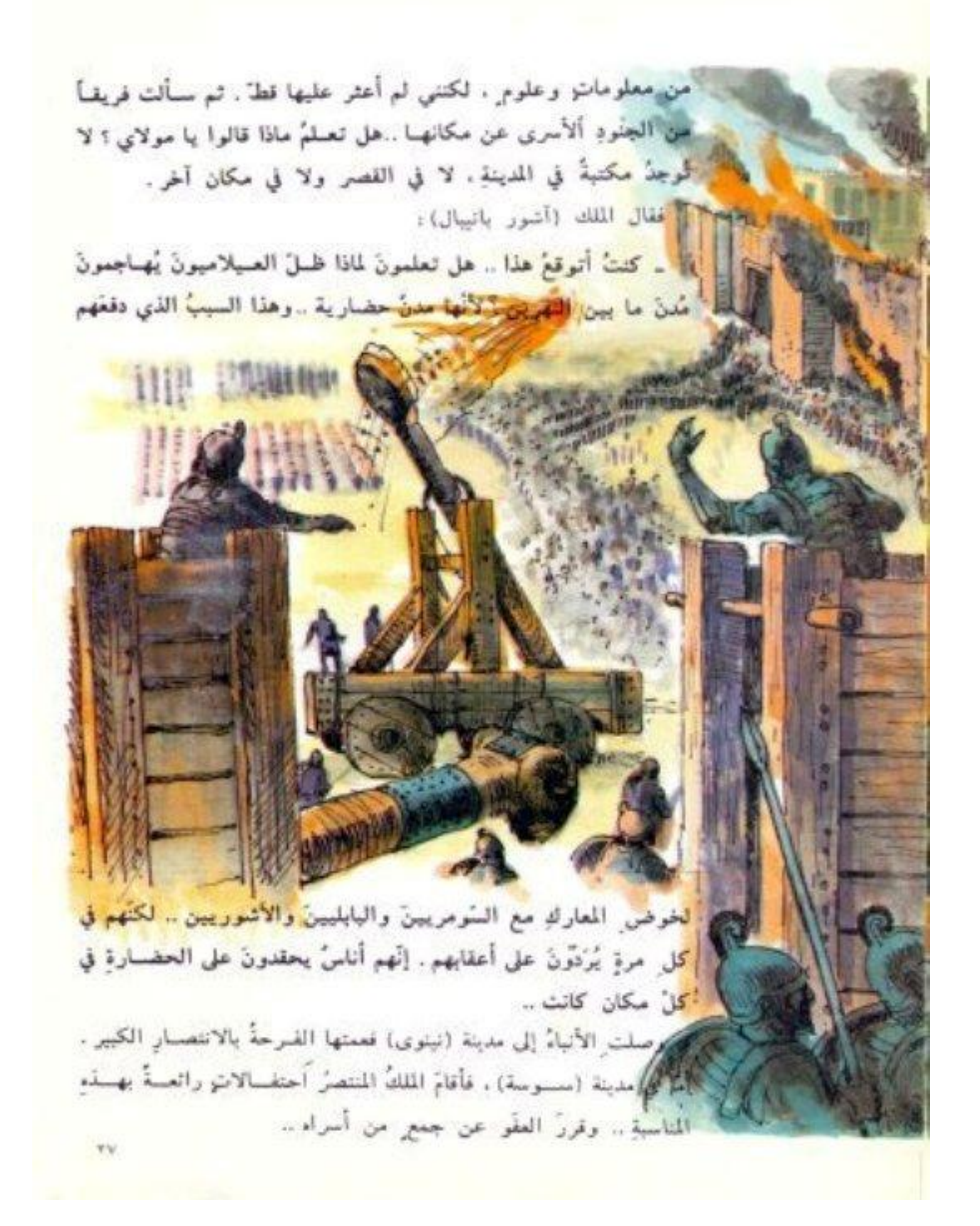
أجابَ الضّابطُ وهو يُحاولُ أن يكتمَ ضِحكةً كادتْ تفلتُ منه :

ـ لقد بحثت يا مولاي عن مكتبةِ القصرِ لأطّلعَ على ما في ألواحِها

من معلوماتٍ وعلومٍ ، لكنني لم أعثر عليها قطّ . ثم سألت فريقاً من الجنودِ ألأسرى عن مكانها ..هل تعلمُ ماذا قالوا يا مولاي ؟ لا توجدُ مكتبةٌ في المدينةِ ، لا في القصر ولا في مكان آخر .

فقال الملك (آشور بانيبال) :

ـ كنتُ أتوقعُ هذا .. هل تعلمونَ لماذا ظلّ العيلاميونَ يُهاجمونَ مُدنَ ما بين النهرين ؟ لأنها مدنٌ حضارية ..وهذا السببُ الذي دفعَهم



لخوضِ المعاركِ مع السّومريينَ والبابليينَ والأشوريين .. لكنّهم في كلِ مرةٍ يُرَدّونَ على أعقابهم . إنّهم أناسٌ يحقدونَ على الحضارةِ في كلّ مكان كانت ..

وصلتِ الأنباءُ إلى مدينة (نينوى) فعمتها الفرحةُ بالانتصارِ الكبير . أمّا في مدينة (سوسة) ، فأقامَ الملكُ المنتصرُ احتفالاتٍ رائعةً بهذهِ المناسبةِ .. وقررَ العفوَ عن جمعٍ من أسراه ..

وفي احتفالٍ كبيرٍ ، وقفَ الملكُ (آشور بانيبال) يخطبُ في النّاس :

ـ لقد أراد ملككُم (تيومان) أن يُخرِّبَ قُرانا وينهبَ سُكّانَها ، ففعل ما يستحقُ عليه العقاب .. ولكنّنا لا نُريد بكم شرّاً .. فانتخبوا من بينكم ملكاً عادِلاً يتفقّدُ أحوالكم ويحترمُ جيرانكم ولا يخلف بالعهد ..

وبعد أيام غادرَ (آشور بانيبال) مدينةَ (سوسة) عائداً إلى عاصمتِهِ (نينوى) .

وفي طريقِ العودةِ ، ٱقترب الضّابط (ننورتا) من الملك (آشور بانيبال) ،وقال له برجاءٍ حار :

ـ مولاي الملكُ قاهر الأعداء .. لقد أدّيتُ واجبي وأنا سعيدٌ بذلك .. ولكنني أرجو الآن أن تسمح لي بإكمال واجبي الآخرِ وهو رعايةُ أرضي ومحاصيلي .

فابتسمَ الملكُ قائلاً :

ـ سيكونُ لك ما تشاءُ .. ولكن لا تنس بأنّكَ ستظَلُّ ضابطاً في الجيشِ الآشوري ، تُلبّي الدعوةَ متى ما طلبناك .

إنحنى (ننورتا) شاكراً :

ـ كُلنا يا مولاي سنكونُ جنوداً متى ما تعرّضتْ أرضُنا الحبيبةُ لخطرِ ٱلغزوِ والعُدوان .

ثم صاحَ ٱلملكُ بمرافقيه :

ـ سيعسكرُ جيشُنا للراحةِ في قريةِ ضابِطنا الشُجاع (ننورتا) وسأكونُ في ضيافتِهِ هذه الليلة .

إستقبلت جماهيرُ القرية الملكَ وجيشَهُ ، وأقامتْ لهم ٱحتفالاً كبيراً عبّروا فيهِ عن فرحتِهم بالنّصر وخلاصِهم من ٱعتداءاتِ (العيلاميين) .

* * *



دار الحرية للطباعة ـ بغداد



الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال



الناشر : دار ثقافة الاطفال ـ ص . ب . ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة داخل العراق ١٥٠ فلساً عراقياً

وخارج العراق ٣٥٠ فلساً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد

(٤٣) لعام ١٩٨٤

دار الحــرية للطباعة